المحاضرة الثالثة: مراجعة الأدبيات (الدراسات السابقة)

مقدمة:

بما أن العلم تراكمي، فالأولى بكل باحث العودة إلى كل الاجتهادات والبحوث التي قام بها علماء وباحثون لتقديم تفسيرات مقنعة وصالحة للمشكلات المطروحة في مختلف المجالات.

فبدلا من أن ينطلق الباحث من الفراغ، لا بد عليه من استيقاء جميع ما له علاقة بالموضوع المبحوث وبالقضية التي هو بصدد دراستها، من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة؛ فهي كالبوصلة التي توجه الباحث إلى الاتجاه الصحيح، وتوضح الزاوية التي وجب على الباحث النظر من خلالها لموضوعه.

فالدراسات السابقة تعد أحد الأجزاء المهمة في خطة البحث العلمي، فكل بحث أو دراسة لا بد وأن يكون قد سبقه محاولات في المجال على شكل دراسات نظرية أو تطبيقية، يستقي منها الباحث في دراسته الحالية بعض الجوانب التي توجهه في دراسته، وتمكنه من الإلمام الجيد بالموضوع والتحكم فيه بصورة جيدة، وتكمن أهميتها في اعتماد الباحث عليها في بعض الجوانب سواء النظرية أو التطبيقية.

1- تعريف الدراسات السابقة:

تعرف الدراسات السابقة بأنها « كل البحوث والدراسات العلمية التي تتشابه مع البحث الراهن أو تقترب منه في جانب ما، وتكون قد أجريت من طرف باحثين آخرين، وتعرف أحيانا باسم الدراسات المشابهة، وهي الدراسات التي تناولت نفس هذا الموضوع من قريب أو من بعيد، وقد تكون متطابقة معها، لكن التعمد في تطابقهما هو لغرض التأكد من بعض القضايا المحددة بدقة، كالفرضيات أو النتائج أو النظرية...إلخ، والتي على الباحث أن يوضحها بدقة متناهية، وإذا لم يفعل ذلك ، فإنه لن يتحلى بالأمانة العلمية.» (غربي، 2009، ص ص 54- 55)

والدراسات السابقة التي يجب على الباحث التعرف عليها وعرضها بالدراسة والتحليل في تقرير بحثه، هي تلك الدراسات التي تتناول موضوع بحثه بطريقة مباشرة، بمعنى أنها تتفق مع نفس موضوع الدراسة، أو بطريقة غير مباشرة بتناولها لجانب أو أكثر من موضوع الدراسة.

وتعرف على أنها« مصطلح يراد به مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع أو بعض جوانبه، حتى يتسنى للباحث أن يبدأ مما انتهى غيره، وأن يوضح مدى الاختلاف والتشابه بين دراسته وبين من سبقه من دراسات.» (العزاوي، 2008، ص 46)

2- أهمية الدراسات السابقة:

تعد عملية استعراض الدراسات السابقة في البحث العلمي ذات أهمية، فهي تؤدي الكثير من المهام للباحث أثناء تنفيذه لهذه العملية وللقارئ عند قراءته لما كتبه الباحث حول هذه الدراسات. وتتمثل أولى هذه المهام بالنسبة للباحث في التأكد من أن هذه الدراسات لم تتطرق للمشكلة التي هو بصدد بحثها من نفس الزاوية ولا بالمنهج نفسه، لذلك على الباحث أن يطلع جيدا من خلال متابعته لموضوع بحثه، إن كان قد سبقه إليه باحث آخر. (سلاطنية، الجيلاني، 2009، ص 143)

ومن الخطأ الاعتقاد بأن البحث يجب أن يكون في موضوعات لم يسبق تناولها من طرف الآخرين، لأن ذلك من شأنه بعثرة جهود الباحثين، والفشل في تشكيل تيارات فكرية ونظريات علمية في هذا الميدان. ولهذا يقترح الكثير من المفكرين تشجيع الباحثين على اختيار موضوعات سبق التطرق إليها من طرف الآخرين لدراستها والتأكد من صحة النتائج التي

تم التوصل إليها، ولهذا ينبغي على الباحث أن يقرأ كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات تتصل بمشكلة البحث، وبالرجوع إلى الكتب التي تعرضت لموضوع الدراسة من قريب أم من بعيد، بل أيضا الأبحاث التي سبق إجراؤها في ميادين قريبة. ويستطيع الباحث حصر هذه البحوث بالرجوع إلى كل المراجع التي تعرضت لموضوع الدراسة من قريب أو من بعيد. ولا ينبغي على الباحث أن يقتصر على الكتب والبحوث التي لها صلة بموضوع دراسته، لأن الاطلاع في ميادين أخرى غير ميدان ابحث كثيرا ما يوحي بأفكار جديدة لها قيمتها العلمية ، كما أنه يعمق فهم الباحث للموضوع الذي يدرسه، ويمكنه من تحديد الأبعاد الحقيقية له، ويهيء السبل لمعرفة الارتباطات القائمة بينه وبين غيره من الموضوعات، وكل هذا يفيد الباحث في إثراء معارفه حول الموضوع ويسهل مهمة البحث فيه. (غربي، 2009، ص 55)

3- **الغرض من الدراسات السابقة:**

- تعطي الباحث أفكارا حول المتغيرات التي أثبتت الدراسات أهميتها أو عدم أهميتها في حقل معرفي معين.(الضامن، 2007، ص 83)، وذلك من خلال مراجعة الأدب الفكري السابق حول موضوع البحث، بالوقوف على ما قام به الباحثون السابقون من الدراسات والمقارنات التي اتبعوها. (بكاي، 2014/2013، ص 22)، وتزوده بمعلومات حول العمل الذي تم إنجازه والذي يمكن تطبيقه، كما توضح له العلاقة بين المتغيرات التي تمت دراستها. فيستطيع الباحث أن يقرر ما هي الدراسات التي أجريت ولها علاقة بمشكلة بحثه، وهو ما يجعله يعرف ما تم إنجازه سابقا وما عليه هو أن يكمله، كما تعطيه تبريرا وأساسا لإجراء دراسته. (الضامن، 2007، 84)، وتساعده كذلك على معرفة الإجراءات والأدوات التي يمكن أن يستفيد منها في دراسته، وتجعله يتجنب الأخطاء التي وقع فيها الآخرون وأن يستفيد من تجاربهم. فهي تعتبر جرس إنذار بالنسبة للباحث العلمي عند القيام بكتابة البحث؛ من خلال تحديد الطريقة التي من شأنها أن تُجنِّب الباحث الوقوع في الأخطاء التي ارتكبها الباحثون السابقون.
- تعطيه تصورا لما قام به الآخرون وماذا توصلوا إليه من نتائج.(الضامن ، 2007، ص 83) وتفادي التكرار في البحوث.
- تجعل عملية تفسير النتائج لدى الباحث أكثر سهولة ويسرا، وتناقش النتائج فيما إذا كانت تتفق مع أو تختلف مع نتائج الباحث.
- مساعدة الباحث في مواجهة المشكلة التي يريد بحثها بعمق أكبر وبمعرفة أوسع.
- الكشف عن مصادر المعلومات التي يمكن أن يستفيد منها الباحث من خلال الاطلاع على قائمة المراجع والكشف عن معلومات مشابهة للمعلومات المستخدمة في الدراسة الحالية.
- تزود الباحث بأفكار جديدة ومنهجية لم تستدل عليها في دراسته.
- تسهم في زيادة ثقة الباحث بنفسه. (الضامن، 2007، ص 85)
- إيجاد المبرات المقنعة لدراسة الموضوع الذي تم اختياره.
- تشكل نبراسا يهتدي به البحث في طريقه لتحقيق أهداف البحث العلمي.(بكاي وآخرون، 2013/ 2014، ص 22) من خلال معرفة منهجية وتصميم البحوث التي استخدمت في الدراسات السابقة.

- تساعد الباحث من خلال الرجوع إلى النظريات ذات الصلة في وضع أسئلته من منظوره، وأن يقرر مدى ما يضيفه مسعاه من معرفة لدراسات عدة، كون المعرفة تراكمية، فالدراسات التي لا ترتبط مع المعرفة الموجودة نادرا ما تضيف أية إسهامات إلى حقل الدراسة أو مجالها.
- تساعد في تحديد التساؤلات كما تمكنه من توضيح وتعريف مفاهيم الدراسة. (الضامن، 2007، ص 87)

4- مصادر الدراسات السابقة:

يمكن للباحث أن يتحصل على الدراسات السابقة من مجموعة من المصادر تتمثل أهمها في:

أ- **مصادر أساسية**: وهي المراجع العلمية التي تفهرس أو تلخص المقالات والكتب والرسائل العلمية، مثل:

- ERIC
- PSYCHOLOGICAAL ABSTRACTS
- CURRENT BIBLIOGRAPHICAL SOURCES IN EDUCATION (UNESCO)
- RESOURCES IN EDUCATION

ب- **مصادر أولية:** مراجع تحتوي على المقالات الأصلية أو تقارير البحوث والدراسات التفصيلية، منها:

- الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه)
- المجلات العلمية المتخصصة: وهي مجلات دورية تصدر عن هيئة بحثية معتمدة مثل الكليات المتخصصة والمراكز البحثية، وفي الغالب تكون هذه المجلات محكمة من قبل متخصصين.
- الدوريات العلمية: وهي دوريات تقوم بتجميع البحوث العلمية المنشورة سواء كانت رسائل علمية أو تقارير أو بحوث.
- المؤتمرات العلمية: وهي المؤتمرات التي تتم في مجال التخصص وتطرح قضية بحثية ويتم في هذا المؤتمر نشر البحوث التي يشارك بها الباحثون في المؤتمر.

ج- مصادر ثانوية: وهي مصادر تلخص وتراجع ما نشر في المراجع الأولية. (أبو دقة، 2016، ص 5)

إضافة إلى هذه المصادر يمكن للباحث أن يتحصل على الدراسات السابقة من:

- قواعد البيانات المحفوظة على الأقراص المدمجة.
- قواعد البيانات التي يمكن الاتصال بها عن طريق الهاتف والحاسب.
- الفهارس مثل فهرس التوثيق للعلوم الاجتماعية.
- الانترنيت
- الوثائق والسجلات والتقارير الحكومية.
- المجلات الثقافية.
- الصحف والجرائد. (البداينة، 1999، ص ص 92-93)

4-القواعد المنهجية لعرض الدراسات السابقة

لا ريب أن القيام بعرض الدراسات السابقة ليست بالمهمة السهلة، إذ تحتاج هذه الخطوة إلى خبرة كبيرة من الباحثين؛ وذلك لأن القيام بعملية العرض تعتمد على نقد للدراسات السابقة، حيث يقوم الباحث العلمي بعرض النقاط الإيجابية التي احتوت عليها دراسته، وكذلك النقاط السلبية.

ويستدعي اختيار الدراسات السابقة مراعاة مجموعة من الشروط نجملها فيما يأتي:

عنوان الدراسة، اسم صاحب الدراسة، الجهة المشرفة، تاريخ إجرائها، أهدافها وفرضياتها، عينتها ومكان إجرائها، أهم نتائجها وأين تفيد البحث الحالي؟

وبطبيعة الحال فإن كل البحوث والدراسات الأصلية تتوفر فيها كل هذه النقاط، أما البحوث والدراسات التي تغيب فيها بعض النقاط فإنها تكون منقولة عن، والعنعنة يجب تجنبها قدر الإمكان في البحوث العلمية خاصة بالنسبة للدراسات السابقة، أو يمكن الاستشهاد بها في أماكن مختلفة من البحث ولكن ليس تحت خانة الدراسات السابقة. (غربي، 2009، ص 57) فالبحوث والدراسات السابقة لا تستهدف مجرد إثبات أن الباحث قد اطلع على هذه البحوث ، وإنما تستهدف الإفادة منها، من حيث ما توصلت إليه من نتائج، وهي تساعد الباحث في بلورة مشكلة بحثه وتحديد أبعادها ومجالاتها، وإغنائها بالمعارف والدراسات والفرضيات والمسلمات والنتائج التي توصل إليها الآخرون، وهو ما يعني إثراء معرفيا وخبرة واسعة يتزود بها الباحث من أجل تحقيق مستوى طموح بحثه، كما تزوده بالكثير من المراجع والمصادر تدعيما لبحثه. (سلاطنية، جيلاني، 2009، ص ص 143-144)

والأمر الأكثر أهمية في هذا الشأن هو أن يبين الباحث المجالات التي استفاد فيها من هذه الدراسات والبحوث، حيث يذكر أين أفادته سواء في صياغة الفروض، أو السعي لتحقيق نفس الأهداف أو بعضها، أو اختبار نظرية أو التأكد من بعض النتائج، كما قد تكون أفادته في المنهج والأدوات أو اختيار العينة، كما يتعلم الباحث من أعمال الاخرين في تصميم بحوثهم، والصعوبات والأخطاء التي عرفوها كي يتم تجنبها، وما هي النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات والتي قد يستعين بها في تفسير ومقارنة نتائج بحثه، حيث يعود إليها الباحث في نهاية بحثه وبالتحديد عند عرضه للنتائج، حيث يتوجب أن يقارن نتائج بحثه في ضوء الدراسات السابقة وما إلى ذلك. وعلى الباحث أن يحدد بدقة المجالات المختلفة التي تكون الدراسات السابقة على حدة قد أفادته فيها، وبالتفصيل الممل، ثم ينتهي بتقييم شامل وجامع لكل الدراسات السابقة، التي رسا اختياره عليها، وعرضها في حوصلة نهائية.(غربي، 2009، ص 58).

وللتأكد من أن الباحث على الصراط السوي في عرض الدراسات السابقة لا بد له من اتباع الخطوات الآتية:

- تجميع وحصر جميع الدراسات السابقة باستخدام البطاقات المستقلة بكل جزئية من المادة العلمية.
- وضع تصور للتقسيمات الرئيسية لفقرات عنصر الدراسات السابقة ومضامينها مع مراعاة الهدف من التقسيم، كمناقشة الجوانب المنهجية في الدراسات السابقة، أو تقسيمها حسب المؤلفين.
- تحديد موقع البحث المقترح من الدراسات السابقة بصورة واضحة، ذلك أن الجهود السابقة في مجموعها لا توصد الباب أمام البحث الراهن، لأنه سيضيف لا محالة أبعادا ومعلومات جديدة إلى الموضوع سواء في شكل معطيات جديدة، أو أسلوب جديد أو تأكيد لنتائج سابقة أو نقص أو تعديل
- إبراز النقاط الجوهرية التي تتضمنها الدراسات السابقة دون تشويه أو طمس لمعالمها، والأفضل أن يورد الباحث نصوص هذه الدراسات. .(سلاطنية وجيلاني، 2009، ص ص 147- 148)

- التعليق على الدراسات السابقة من خلال إبراز قدراته العلمية ونقده البناء، فيسبر أي اختلاف في النتائج وفي المتغيرات، وتعليل ذلك كلما كان الأمر ممكنا في ضوء الاختلافات المنهجية والنظرية وأساليب القياس.
- استنباط أهم الاستنتاجات من نقاشه للدراسات السابقة، ثم يبين النظرية أو المدرسة الفكرية التي سيتبناها في دراسته، موضحا إسهام الدراسات السابقة في تأييد ما ذهب إليه على النحو الذي يمهد لصباغة الفروض، مبينا ما ستضيفه دراسته على تلك الدراسات السابقة في ضوء ما حدده في إشكالية بحثه. (بكاي وآخرون، 2013-2014، ص 23)
- إخضاع ما يتوفر من دراسات للتحليل النقدي وبيان موقع الدراسة الحالية من الدراسات السابقة.(أبو دقة، 2016، ص 4)

5- **ما يجب تجنبه عند عرض الدراسات السابقة:**

قد يقع الباحث عند تقديمه للدراسات السابقة في بعض الهفوات التي قد تفسد عليه كل المجهودات التي قام بها لذلك لا بد أن يتجنب الوقوع فيها من أجل أن يكون بحثه متميزا ومتسما بكل المواصفات العلمية ، ومن بين الخطاء التي يمكن للباحث الوقوع فيها ما يأتي:

- القول في بداية العرض لم أعثر على كاتب أو باحث سبق وأن كتب في الموضوع أو القول لا يوجد سوى هذا في الموضوع.
- عدم المجازفة بإصدار أحكام بالقصور والعجز على مساهمات الآخرين دون دليل، حيث يجب التمعن والتعمق في قراءتها قراءة متأنية وفق منهج تقويمي محدد.
- التطاول على صاحب الدراسة كالقول لقد تعرض الكاتب إلى الموضوع لكنه للأسف لم يوفه حقه، وأنه تعرض للموضوع ليس بشكل مباشر....
- تجنب صيغة النفي قدر الإمكان..... وإنما عليه قراءة أعمال الآخرين قراءة متأنية وكاملة، ولا يكتفي بالاطلاع على فصول محددة أو تصفح قائمة المحتويات.
- عدم التأثر بصاحب الدراسة أو مركزه. لأن ذلك سيؤثر لا محالة على نتائج البحث وموضوعيته. (سناء أبو دقة، 2016، ص 4)
- اقتناع بعض الباحثين أن عرض الدراسات السابقة هو إقناع للقارئ بأنه عالم بأعمال الآخرين، حيث يترتب عنه حشو جزء الدراسات السابقة بأعمال قد لا تكون ربما لها علاقة مباشرة بمشكلتهم.
- التركيز على كشف العيوب أو تحديد نواحي النقص والضعف فيه، فمراجعة البحوث السابقة ليس مجرد تجميع للنتائج ولكنها مناقشة مثمرة متماسكة تقود إلى ربط المشكلة بالتاريخ البحثي للموضوع الذي تنتمي إليه.
- الاعتماد على أبحاث قديمة ومضى عليها عقود من الزمن.
- الاعتماد على دراسات وبحوث غير منشورة في دوريات عليمة محكمة وذات سمعة علمية معترف بها.
- عدم أخذ الوقت الكافي في البحث من خلال مصادر المعلومات المختلفة، والاكتفاء بمصدر وحيد متوفر بسهولة وبمتناول الباحث، وقد يتم الحصول على الدراسات السابقة دون بذل جهد في المسح من المصادر الأخرى.

- الاعتماد بشكل كبير على المصادر الثانوية للمعلومات بدلا من الرجوع لمصادرها الأصلية أو الاكتفاء بمصدر وحيد بشكل رئيس يتكرر ذكره في هوامش الدراسات السابقة كثيرا دون غيره.
- قبول نتائج الدراسات السابقة على أنها صادقة ولا تتقبل النقد ودون مراجعة لمحتويات البحث من حيث تصميم وتحليل بياناته أو الاستنتاجات التي تم التوصل إليها.
- لا يتم مناقشة التناقض من وجهات النظر السابقة وعدم بيان أوجه الاختلاف بينها وإظهار رأي الباحث في ذلك.
- عرض وتلخيص الدراسات السابقة التي تم الحصول عليها كاملة، في حين يجب أن يكون التركيز فقط على ما له علاقة بموضوع البحث ومتغيراته.
- البحث عن الدراسات السابقة التي تتناول جميع متغيرات البحث في آن واحد وبالتالي تظهر الدراسة الحالية على أنها تكرار لما سبق.(ذبيحي، شوبار، فبراير 2017، ص ص 15-16)

خاتمة:

في الأخير يمكن القول، إن تلخيص الدراسات السابقة يحتاج إلى باحث خبير يقوم بالنقد وملاحظة أوجه الشبه والاختلاف بين دراسته والدراسات السابقة، ويجب على كل باحث أن يكون لديه البصيرة والحكمة المناسبان؛ من أجل التعليق عليها، ونقدها نقدًا بناءً من خلال الأدلة العلمية الدامغة، وكذلك التحلي بالموضوعية والبعد عن كل تحيُّز شخصي. وتُعد عملية نقد الدراسات السابقة من المتطلبات الرئيسة عند كتابة الأبحاث العلمية، بل إنها أحد المقاييس التي تمنح الباحث الدرجة العلمية المرتفعة في حالة ظهور قدرته على النقد من خلال البحث المقدم.